

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير

الأستاذ المساعد الدكتور

عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني

المدرس المساعد

أحمد كاظم جواد

جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

قصد النصّ القرآنيّ إلى تطويع بعض المفردات والجمل من أجل المناسبة الصوتية بالقدر الذي لا يتنافى مع المعنى بل جاء ذلك خدمة له، والتوافق الصوتي في القرآن الكريم لا يدع مجالاً للشك في أنه كان مقصوداً كما كان غيره من جوانب النظم الأخرى التي تتظافر فيها كل مستويات اللغة؛ لأنّ الصوت في القرآن الكريم ملمح بارز من ملامحه الاسلوبية ولعلّه أكثرها اطراداً كما في الفاصلة القرآنية التي هي مظهر من مظاهر الأسلوب الصوتية، فهي قيمة صوتية ذات وظيفة معينة في القرآن الكريم وهذه الوظيفة الجمالية تستحق الرعاية، ولو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التراكيب النحوية، لذا هدف البحث إلى معالجة مشكلة تتمثل بدراسة صلة (رعاية الفاصلة) بالمعنى، ومستويات العلاقة بينهما بما يعزز مشروعية المصطلح أو يرفضه.

مفهوم التناسب الصوتي

يحسن بنا أن نفرّق بين بعض المصطلحات المتقاربة في المفهوم مع مصطلح التناسب الصوتي، ومنها مصطلح المناسبة الصوتية، التي تعني ((أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين أن يكونا على

صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لافي الأداء ولا في السمع^(١). وهذا مصطلح لغوي عام، أساسه الانسجام بين الأصوات المتجاورة، من حيث ارتباط الصوت بآلة إنتاجه (الجهاز النطقي) وآلة استقباله (الجهاز السمعي) لذا يربط هذا المصطلح دائما بهذين الجانبين ربطا وثيقا، فالمناسبة الصوتية جزء من النظام العام للغة تنتج عن اتفاق يوجد بين جميع الأعضاء النطقية بحيث لا تجد صوتا مناوئا، ولا عضوا منافيا في وضعه النطقي لعضو آخر وإنما تتعاون الأعضاء في خلق نوع من الانسجام المركزي أثناء العملية النطقية، ومثله الانسجام في حروف الكلمة والجمل، فلا يكون هناك صوت شاذ عن الآخر، ولا حركة مناقضة لحركة أخرى، يؤدي ذلك بالطبع إلى نوع من التوازن والتوافق^(٢). وقد بحث أهل اللغة هذا الموضوع تحت عنوانات متعددة منها: المماثلة، والإبدال، والإدغام والقلب، والإظهار، والإخفاء، والإمالة، ولكن ظواهر المناسبة الصوتية لا تقع كلها في مستوى واحد، فمنها ما يخضع لقاعدة مطردة من قواعد اللغة الصوتية، ومنها ما يخضع لاختيار المتكلم، فيكون ذا ملمح جمالي يتسم بذوق منشئ النص وأسلوبه.

إن هذا التفريق يفصل بين اهتمام اللغويين بالظواهر الصوتية واهتمام الأسلوبيين بها، لذا يربط الدكتور تمام حسان بين المناسبة، بوصفها قيمة صوتية، وعنصر الاختيار عندما يكون لدى المتكلم أكثر من خيار فيعمد إلى الأنسب؛ من دون أن يكون اختياره ناتجا عن تطبيق قاعدة، لأن مراعاة القواعد يشترك فيها عامة المتكلمين، ولا يمتاز بها أسلوب من آخر^(٣)، فضلا عن أن التناسب في مستواه القواعدي سببه دفع الصعوبة في النطق ورفع الإبهام والثقل على السمع، أما المستوى الآخر فيراعي فيه المتكلم ما كان أنسب من حيث استعماله الفني، وبين الاثنين فرق كبير.

وأمثلة المناسبة الصوتية الخاضعة للتقعيد كثيرة منها: تفخيم لام لفظ الجلالة وترقيقه بحسب الصوت الذي يسبقه، ومنها تحريك ضمير الغيبة بحسب

ما يسبقه أيضا، ومنها كسرة المناسبة قبل ياء المتكلم عند الإضافة، ومنها بناء الماضي والأمر على الضم لمناسبة واو الجماعة وغيرها كثير.

أما المناسبة الفنية فمثل إعراب الجوار، وهو نوع من الترخّص^(٤) في القرينة الإعرابية، وهو خيار فردي يتبع منشئ النصّ وقد كانت له مندوحة عن استعماله، ومثل الإتيان الذي يعني ((إيراد لفظين بينهما شبه تقفية، كما اشتهر من ذلك عبارات مأثورة مثل (حيص بيص) و (شذر مذر))^(٥).

بناء على هذا تكون مخالفة المتكلم المقصودة للقاعدة من أجل انسجام الأصوات المتجاوزة هي ما يعرف- عند الدكتور تمام حسّان - بالمناسبة الصوتية الفنية التي هي قيمة صوتية، أي إن أساس المناسبة الصوتية في مستواها الفني يستند إلى عنصرين. أحدهما التغيير الصوتي من أجل الانسجام بين الأصوات المتجاوزة انسجاما فنيا، والآخر مخالفة القاعدة في هذا التغيير.

يقرب مفهوم المناسبة الصوتية بالمعنى الفني الذي ذكره الدكتور تمام حسّان مما جاء به علم التناسب في جوانبه الصوتية التي تهدف إلى الكشف عن نوع من الترابط بين أجزاء النصّ القرآني، فهو معني- بحسب ما يفهم من التعريف- بالمناسبة المعنوية والصوتية، ونلمس ذلك من تعريف علم التناسب، فقد أشار القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)^(٦) إلى الترابط الصوتي تحت مفهوم انتظام المباني عندما عرف التناسب بأنه: ((ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، منسقة المعاني منتظمة المباني))^(٧) فقد فرق بين تناسق المعاني وانتظام المباني. وهذا الانتظام يعني ضمنا العلاقات الصوتية التي تربط المفردات، لذا نجد ابن أبي الاصبغ المصري (ت ٦٥٤هـ) يضع مصطلح المناسبة في ضربين هما المناسبة في المعاني، والمناسبة في الألفاظ، أما الأولى فهي: ((أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ))^(٨)، وأما المناسبة في الألفاظ فهي ((الإتيان بلفظات متزنات مقفاة

وغير مقفأة، فالمقفأة مع الاتزان مناسبة تامة، أو المتزنة من غير التقفية مناسبة ناقصة، ووقع الناقصة في الكلام الفصيح أكثر لأن التقفية غير لازمة فيها، فإن تطوعت بها الفصاحة في الكلام من غير قصد كان الكلام أحسن، وإلا فالأصل بها الاتزان ليس إلا^(٩)، ومثل للمناسبة الناقصة بتوافق الفاصلتين في قوله تعالى^(١٠): ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا نَسْفٌ عَجِيبٌ﴾^(١١)، ومثل للمناسبة التامة بتوافق الفاصلتين في قوله تعالى: ﴿ت وَالْقَالِدِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِمَعْمُورٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾^(١٢).

ولا يكتفي ابن أبي الإصبع بذلك بل يرى أن المناسبة لا تقتصر على مجرد التوافق الصوتي في الأمثلة التي ذكرها، بل يعد من المناسبة أيضا قصد المتكلم إلى إحداث التوافق بتغيير بنية المفردات لتتناسب صوتيا مع غيرها من المفردات، من دون أن يؤثر ذلك في سلامة المعنى، ويفهم هذا من المثال الذي ذكره من أن النبي - ﷺ - كان يرقى الحسنين - عليهما السلام - بقوله: (أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)^(١٣)، فقد سوغ عدول النبي من القياس (ملمة) إلى (لامة) من أجل المناسبة اللفظية^(١٤).

بناء على ذلك يكون نطاق عمل علم التناسب في النص القرآني محددًا في البحث عن أسباب مجيء أجزاء النص على ما هي عليه، وهذا المعنى يبين أن للترتيب المقصود أكثر من علة، أو أن هناك احتمالا لوجود أكثر من علة تصلح لأن تكون محلا للدراسة، هذا ما يفهم من حد علم التناسب على المستوى النظري، أما المستوى التطبيقي، فرمما يقتصر على نوع واحد من العلل وهو العلل المعنوية (أي العلل التي ترجع في أصلها إلى المعنى)، فقد درس علماء التناسب العلل المعنوية لترتيب بعض المفردات في سياقاتها، وعلل ترتيب الآيات، وبحثوا في ترتيب الآيات في السورة بكاملها، وصولا إلى ترتيب

السور وعلاقة بعضها ببعض^(١٥)، ولم يأخذ مصطلح التناسب على إطلاقه لينفتح على الجانب الصوتي الجمالي منه، فثمة علل جمالية صوتية يمكن أن تكشف عن التناسب، ومراعاة الجانب الصوتي قد يؤدي إلى اختيار مفردة من دون أخرى، أو تقديم مفردة كان حقها، في البناء النحوي، التأخير وغير ذلك من خيارات التركيب.

وعلى الرغم من أن مصطلح المناسبة الصوتية يشير بوضوح إلى أن المناسبة اللفظية مناسبة إيقاعية شكلية تحافظ في الوقت نفسه على تمام المعنى المراد، كما مثل له في الحديث السابق، فليس للتغيير في المفردة (ملمة) أثر في المعنى في دعاء النبي غير الأثر الجمالي الإيقاعي، فأنا نجد من يربط هذا المصطلح بالمعنى ربطاً تاماً مع إقراره بأنه قسيم للمناسبة المعنوية، فقد صنّف شرف الدين الطيبي (ت ٧٣٤هـ) التناسب على أقسام: الأول ائتلاف اللفظ والمعنى، والثاني ائتلاف اللفظ واللفظ، ((وهو أن يكون في الكلام معنى يصح معه معان فيختار منها ما بين لفظة وبين لفظ ذلك المعنى ائتلاف بحسب أسباب مؤدية إلى تقاربهما))^(١٦) والثالث: ائتلاف المعنى مع المعنى^(١٧).

فائتلاف اللفظ واللفظ كان قسيماً لأيّ ائتلاف يدخل في أحد طرفيه المعنى؛ ولكن الطيبي يردّه للتداعي المعنوي الذي يقع بين بعض المفردات على وفق ما عرف لدى المحدثين من مفهوم العلاقات العمودية والرأسية بين الألفاظ عندما يستدعي بعض الألفاظ بعضاً بلحاظ اقترانها في حقل دلالي معين كما يستدعي لفظ (القلم) لفظي (القرطاس)، و(الدواة) ويتضح هذا عنده من الأمثلة التي جاء بها لبيان مراده، ومنها قول ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ): (الطويل)

أصحُّ وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويهما السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم^(١٨)
فمفهوم المناسبة في هذين البيتين هو ((المناسبة بين الصحة والقوة والسمع
والخبر المأثور، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم))^(١٩) فالألفاظ

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢٠٨)

(الصحة، والقوة، والسماع، والخبر المأثور) تشترك في حقل دلالي عرفه علم الحديث، وكذا الألفاظ (السيل، الحياء، البحر، وكف تميم) التي يجمعها حقل دلالي واحد.

هكذا عاد الطيبي بمصطلح المناسبة الصوتية خطوة إلى الخلف، وهذا يدل على أن الاهتمام ظل منصبا على الجانب المعنوي من التناسب، حتى في المواطن التي يكون فيها الجانب اللفظي في التناسب واضحا جدا، فالمفردات القرآنية التي جاءت فواصل في النص القرآني على الرغم مما فيها من تناسب لفظي في الأعم الأغلب من الآيات، فإن علم التناسب اقتصر على ما يتصل منها بالجانب المعنوي فبحث، على سبيل المثال، في سبب مجيء مفردتي (العزیز والحكيم) بدلا من (الغفور الرحيم) في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢٠)؛ فقد قال الطيبي ((فقوله ((وإن تغفر لهم لهم)) يوهم بأن الفاصلة (الغفور الرحيم)، لكن المناسب أن لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، ومن يعلم الحكمة فيما يفعله، وإن خفيت على غيره))^(٢١) فهذا التعليل، وغيره كثير، مبني على أساس المناسبة بين المعاني.

أما البقاعي فيخالف سابقيه إذ يرى أن العلة الصوتية في ترتيب بعض المفردات في القرآن لا يعتنى بها لأنه لا يليق بكلام الله تعالى، فالتناسب عنده ((علم تعرف منه علل الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال))^(٢٢). بناء على هذا التعريف نعرف أن علم التناسب عند البقاعي يبحث في العلاقات التي

تربط أجزاء النصّ ما عدا العلاقات الصوتية بين المفردات، لأنّه يرفض القول بوجود أسلوب السجع في القرآن لأنّه مذموم وقد نهى عنه النبي محمد ﷺ فلا يقال: إنّ في القرآن سجعا؛ لأنّه يأتي تكلفاً، واللفظ فيه أصل والمعنى تابع له، بل قد يكون مستهجناً. والقرآن بلغ أعلى درجة في الفصاحة والبلاغة، يقول البقاعي: ((ولا يظن أنّه رتب شيئاً من هذا الكتاب العزيز لأجل الفواصل، فذلك امرٌ لا يليق بكلام الله تعالى))^(٢٣).

وقد عاب النبي ﷺ السجع، لأنّ السجع يكون محط نظره الالفاظ، فيدير المعاني عليها وتبعها إياها فربما عجز اللفظ عن توفية المعنى^(٢٤). وهو بهذا يساوي بين السجع بوصفه أسلوباً جمالياً يمكن أن يوظف في كل نص منظوم أو منثور، والسجع بوصفه جنساً أدبياً نثرياً ارتبط وجوده بالكهنة، فنجده يحذر من الذهاب إلى القول بالسجع، يقول: ((وإذا تأملت الفواصل في الإتيان بها تارة بكثرة وتارة بقلة وتارة تترك بالكلية ويؤتى في كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى علمت أنّ هذا المذهب هو الصواب ... فإياك أن تجنح لهذا القول ﴿القول بالسجع﴾ فتكون قد وقعت في أمر عظيم وأنت لا تشعر))^(٢٥). وعند تعرضه لمواطن التناسب الصوتي يؤكد ما ذهب إليه سابقاً، فنراه يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجْدًا قَالُوا أَمْ تَأْتِي رَبَّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾^(٢٦) فيقول: ((وهذه الآية وأمثالها من آي هذه السورة وغيرها مما قدم فيه ما يتبادر أنّ صفتة التأخير وبالعكس لإيحاء من المعاني دقيقة، هي التي حملت بعض من لم يرسخ، إلى أن يقول إنّ القرآن يراعي الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السجع وتبعه جمع المتأخرين تقليداً، وقد عابه النبي ﷺ حين قال: ((أسجعاً كسجع الجاهلية أو قال الكهان...))^(٢٧). هكذا نجد أنّ البقاعي يوافق كثيراً من علماء العربية الذين نظروا للسجع هذه النظرة السلبية؛ لما له من ارتباط

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢١٠)

تاريخي بالجنس الأدبي المعروف قبل نزول القرآن وبعده عند مسيلمة الكذاب وغيره.

ونخلص من هذا العرض الموجز إلى أن الفرق بين علم التناسب (الذي يشمل المناسبة الصوتية الفنية) والمناسبة الصوتية المطردة الخاضعة للقواعد اللغوية يقع في جانبين رئيسين هما:

الجانب الأول: هو أن المناسبة الصوتية مصطلح لغوي عام، ميدان عمله أصوات اللغة في مستواها النطقي الفيزيائي، تدرس تأثير مجاورة بعضها بعضاً، أما التناسب الصوتي فهو جزء من علم التناسب الذي يدرس النص وليس المفردة بحد ذاتها.

الجانب الآخر: إن المناسبة الصوتية تدرس اللغة في كل مستوياتها من دون النظر في فنية استعمال الأصوات، ومن دون النظر في علاقة الصوت بالمعنى، في حين قام علم التناسب على البحث في علل اختيار المفردات وعلل ترتيبها ومنها العلة الصوتية التي تكشف، في بعض جوانبها، عن جمال استعمال الأصوات وعلاقتها بالمعاني (٢٨).

ويشترك المصطلحان في منطقة ويفترقان في غيرها، والمنطقة المشتركة تتمثل في اهتمام كل منهما بدراسة التغيرات الصوتية التي تطرأ على المفردة، ولكن المناسبة الصوتية المطردة تهتم بالجانب الفيزيائي النطقي والسمعي للأصوات وانسجام أصوات المفردة والبحث في العلل الفيزيائية للتغيرات الصوتية، في حين يبحث علم التناسب في هذا الفرع من التناسب في الأسباب المعنوية والفنية التي أدت إلى التغيرات الصوتية بالقدر الذي يشير إلى تناسب أجزاء النص القرآني.

ومما تقدم يتبين المنهج الذي تمت به دراسة الفاصلة في ضوء علم التناسب، إذ لم يدرس النص القرآني، في الأغلب، على وفق منهج يبدأ برصد الظواهر، ومن ثم تصنيفها وجمع المتشابهات تحت عناوات توحى بضوابط التقسيم، وربما دفعهم إلى ذلك أن منهج علم التناسب لم يستقل عن منهج التفسير الذي يلتزم تسلسل السور في تناول النص القرآني، ذلك بأن علماء التناسب درسوا النص القرآني وتبعوا فيه ملامح التناسب في كل سورة على وفق الترتيب الذي جاءت عليه، ومن ثم كانت دراساتهم تطبيقية أكثر منها نظيرية تهتم بالجمع والتصنيف. ولعل هذا هو الذي جعلهم ينصرفون على نحو ما عن الوقوف على البعد الصوتي في ترتيب مفردات النص القرآني كما في الفاصلة.

مفهوم رعاية الفاصلة.

الفاصلة مصطلح عام يشمل خواتيم الآيات، سواء أكانت موافقة ما قبلها أم ما بعدها أو لم يكن على هذه الصفة، لأن كل نهاية آية فاصلة، وليست كلها مسجوعة، وعندما نتحدث عن رعاية الفاصلة فإننا نعني بها، بناء على ما تقدم، عدول النظم إلى حال تكون فيه أواخر الآيات متوافقة صوتياً من دون أن تحد هذا العدول قاعدة مطردة؛ فلا أحد يدعي توافق كل آيات القرآن من حيث تناسب أواخرها صوتياً، والقرآن يشهد بعدمه؟ فيكاد يكون تنوع الفواصل في سورهِ المباركة أملاً مطرداً ما عدا بعض قصار السور مثل: سورة الناس، وسورة الأعلى. وهي تؤلف نسبة قليلة لا تبنى عليها قاعدة.

من هنا يمكن مناقشة التعريفات التي لا تشير إلى هذه الحقيقة، فليس شرط الفاصلة التوافق الصوتي في نهاياتها، لأن بعض الفواصل متناسبة صوتياً على خلاف بعضها الآخر، فقول الرماني (ت٣٨٤هـ) في الفاصلة بأنها ((حروف متشكلة توجب حسن إفهام المعاني))^(٢٩) يصلح تعريفاً للفواصل المسجوعة فقط، وهو القسم الأكبر من الفواصل القرآنية، إذ لا يمكننا تفسير التشاكل بغير

هذا المعنى، وكذلك تعريف الباقلاني (٤٣٠هـ) القائل بأنها: ((حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني))^(٣٠) فالتعريفان متطابقان تقريبا.

ويعرف الزركشي الفاصلة بأنها ((كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقربة السجع))^(٣١)، وهو متأثر أيضا بنظرية التشاكل، فلو جعل الكلام مطلقا من قيد التشبيه بقافية الشعر وقربة السجع لما كان كسالفه، لأنه اختلف عنهم في أنه عد كل نهاية آية فاصلة وهذا ما عليه القرآن بلا أدنى شك.

ومع أننا لا نتفق مع من يسمي الفاصلة رأس آية، لأنها في حقيقتها خاتمة الآية فإن التعريف الوحيد الذي جاءنا شاملا كل الفواصل المسجوعة منها وغير المسجوعة هو تعريف ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) الذي يرى بأن الفاصلة ((رؤوس الآي ومقاطع الكلام))^(٣٢).

وربما كان الخليل قد تنبه على هذه الملاحظة التي خفيت على من جاء بعده عندما عرف السجع بقوله: ((سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن))^(٣٣)، فلم يكتف بتعريف السجع بأنه كلام له فواصل، لأن الفواصل تعني المقفى وغير المقفى والموزون وغير الموزون.

وعرف الدكتور محمد الحسناوي الفاصلة بما قال إنه تعريف مانع جامع بأنها ((توافق أواخر الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس))^(٣٤) وهذا المعنى لا يختلف عن السجع إلا في أن السجع غير مشروط مجيئه في أواخر الآي بخلاف الفواصل، أي إن الفواصل محددة قبل ملاحظة توافقها الصوتي، في حين كان السجع مبنيا على التوافق الصوتي في الكلام بحروف الروي أو بوزن الكلمة المسجوعة أو بالوزن و الروي معا.

أما رعاية الفاصلة فهي رعاية التناسب في الفواصل، ولعل ما وصل عن الزركشي كان أول جهد تصنيفي يدرس رعاية الفاصلة القرآنية، وذلك في كتابه (البرهان في علوم القرآن) فقد رصد المواطن التي روعيت فيها الفاصلة فأثرت في بناء المفردة والجملة في النص القرآني فقال: ((واعلم أن إيقاع

المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، ومعتبر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع))^(٣٥).

وينقل السيوطي عن الشيخ شمس الدين ابن الصائغ أنه ألف كتابا سماه ((إحكام الرأي في أحكام الآي)) قال فيه: ((اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول... وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما))^(٣٦)

والأحكام التي ذكرها السيوطي أورد منها الزركشي قبله اثني عشر موردا ولم ينسبها لأحد^(٣٧)، وقد ختم ابن الصائغ كلامه بالتنبيه على أن رعاية الفاصلة لا تعدّ علة تامّة فقال: ((لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم - كما جاء في الأثر - لا تنقضي عجائبه))^(٣٨)، ولعمري يعني بالأمور الأخرى الجوانب المعنوية، وهو بهذا يكشف عن أن ما ذكره من وجوه إنما جمعت تحت عنوان مخالفة الأصول من أجل إحداث توافقات صوتية جمالية مع اعترافه بأن هذا لا يخالف المعنى الدقيق الذي ينتهي إليه التركيب بوصفه بنية سطحية لها دلالتها الفعلية الواقعية بصرف النظر عن الافتراض الذي قيس عليه الخروج عن الأصل. بمعنى أن التركيب إذا جرى على الأصل كانت له دلالة معينة، وإذا خالف الأصل فإن المعنى يتغير بتغير التركيب مهما كان سبب المخالفة، الأمر الذي يعني أن الخلاف في هذه المسألة إنما هو خلاف في العودة إلى الأصل المفترض لكل تركيب، ولنا أن نبين أن الناتج النهائي من التركيب كان دالا وما الرجوع إلى الأصل إلّا لغرض الكشف عن دقة المعنى إذ تتبين الفروق التركيبية بموازنة بعضها ببعض فينتفع منها في بيان المعنى بالإشارة إلى المخالفة المذكورة.

وقد كان الأولى بتنبه ابن الصائغ هذا أن يفتح الباب لدراسة العلاقة بين المخالفات المذكورة والمعنى، لا أن يحمل عليه ويتهم بتغليب جانب اللفظ على المعنى، فيكفيه أنه أثار اهتمام الباحثين بعده لأن يراعوا الجانب الصوتي بوصفه بعدا متظافرا مع الأبعاد الأخرى للتركيب وليس مستقلا عنها أو ندا لها، على نحو ما يرى بعض الباحثين من أن رعاية الفاصلة تعني ((بناء التقديم والتأخير والزيادة والحذف فيما يتعلق بالفاصلة القرآنية أو العبارة التي تقع فيها تلك الفاصلة على مجرد إحداث التناسق الموسيقي بين الفواصل، من دون عدّ الوجه البلاغي السبب الرئيس في تلك الظواهر، ومنهم من يجعل هذا الوجه لاحقا للقول برعاية الفاصلة مع أن العكس هو الصحيح، إذ إن القرآن يتوخى المعنى، وبلاغة القول قبل كل شيء، والفاصلة إنما هي تابعة للمعنى وملاحظ البلاغة لا متبوعة)) (٣٩).

الوظائف الدلالية والجمالية للتقديم والتأخير في الفاصلة.

الرتبة في الكلام قرينة من القرائن التي تسهم في إنتاج الدلالة، وهي أصل مفترض بنيت عليه أحكام سلامة التركيب وقياس ما خرج عنه مما يجوز وما لا يجوز. فالكلام لا يحتفظ برتب الأشياء كما كانت على هذا الأصل، بل يخالفها من أجل غايات أبرزها الخروج عن اللغة التقريرية إلى اللغة الإبداعية والتوسع في المعاني أو الدقة أو العناية بأشياء أكثر من غيرها^(٤٠)، ومخالفة قرينة الرتبة جزء من إمكانات اللغة المتاحة، لأنها تغني التركيب بدلالات جديدة مع احتفاظه بالمعنى الرئيس الذي دلت عليه الرتبة قبل المخالفة لدلالة الحركات الإعرابية على الوظائف النحوية للكلمات فالفاعل معروف بدلالة علامات للرفع إن تقدم أو تأخر، والمفعول معروف بعلامات النصب، وكذا بقية الوظائف النحوية للكلمات، وقد رصد البلاغيون كثيرا من التعبيرات التي تتوافر فيها هذه الظاهرة، وما يمكن أن تتغير به الدلالة تغيرا يوجب لها المزية والفضيلة.

وعلى هذا النحو كانت تدور مناقشات العلماء في التقديم والتأخير اللذين وردا في القرآن الكريم، ومنه ما جاء في الفاصلة فوق الخلاف في الغاية التي من أجلها تقدمت ألفاظ على غيرها مما جاء على الأصل ومما خالفه؛ فقد فسرت كثير من حالات التقديم على أنها جاءت بتأثير من رعاية الفاصلة القرآنية، أي إن القرآن الكريم أحر لفظ الفاصلة لموافقته في السجع كلمات الفواصل المجاورة لها وبهذا يكون التناسب الصوتي في الفاصلة عاملا مؤثرا في ظاهرة العدول عن الرتبة في جملة الفاصلة القرآنية، الأمر الذي يعني - لبعضهم - أن هذا يسيء للقرآن الكريم لأن الفاصلة وما جرى فيها من صور التركيب على مستوى المفردة والسياق سيكون تابعا لسلطة الإيقاع الموسيقي وهو ما يهدم المعنى؛ لأن الإيقاع خال من المعنى، وبناء الكلام على وفق ما يتطلبه معنى التوضيح بشيء من المعنى من أجله، هكذا فهم بعض العلماء مسألة التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية، فأنكروا أن يكون ذلك من أجل رعاية الفاصلة البتة.

وذهب بعضهم إلى أن مراعاة الفواصل أمر مطلوب بدليل كثرته في القرآن الكريم حتى أن القرآن عمد إلى اختيار ما هو أنسب لتحقيق سجع الفاصلة ولا يرى إشكالا في هذا الكلام، وهو كلام كثير حفلت به كتب البلاغة العربية وكتب علوم القرآن فضلا عن الدراسات الحديثة التي عاجلت هذه المسألة^(٤١)، وذهب بعضها إلى التوفيق بين الرأيين والجمع بينهما تحت سقف واحد هو الإعجاز الذي يقصد إلى كلتا الغايتين ويوفق بينهما كل التوفيق وهو سر من أسرار كتاب الله المعجز. ويمكننا أن نصنف التقديم والتأخير بحسب صلته بالمعنى إلى صنفين هما:

أ . ما تساوت فيه الوظيفتان الدلالية والجمالية.

وردت أمثلة للتقديم والتأخير في جملة الفاصلة القرآنية وقد أفاد فيها هذا الأسلوب بنفسه معنى لم تفده الجملة من دونه ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ تَبَدُّوْا وَإِيَّاكَ تَسْتَعِيْبُ﴾^(٤٢) فقد حقق تقديم المفعول به (إيَّاك) على الفعل (تعبد) و(إيَّاك) الثانية على الفعل (نستعين) انسجاماً تطلبه الفواصل المتجانسة في السورة، وقد حقق التقديم في كلتا الجملتين توازناً إيقاعياً ملحوظاً كان سببه تكرار لفظة (إيَّاك) واعتماد بنية الجملة الخبرية التي تبدأ بالمفعول به المقدم على الفعل والفاعل في كليهما وكأن السياق الصوتي استدعى أن تبنى الأولى من سنخ بناء الثانية. والفعل (استعان) يتعدى إلى مفعوله في الغالب بحرف الجر فيقال: (استعان به على أمره)، وقد ورد في القرآن هذا الفعل متعدياً بحرف الجر في قوله تعالى: ﴿يَتَّأْتِيهَا الْبَايِنَاتُ أَمْتَانًا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٤٣) وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾^(٤٤). ويبدو أن توازن الجملتين تطلب أن يتعدى الفعل بنفسه لمفعوله المتقدم عليه.

أما على صعيد الدلالة فقد ذهب الزمخشري إلى أن ((تقديم المفعول به لأجل الاختصاص، والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة))^(٤٥)، وخالفه في ذلك أبو حيان ت(٧٤٥هـ) لأن التقديم عنده إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول^(٤٦)، ويرى ابن الأثير أن التقديم لا يفيد الاختصاص وحده، وإنما يستعمل على وجهين، أحدهما الاختصاص، والآخر مراعاة نظم الكلام^(٤٧).

وذهب تقي الدين السبكي إلى أن الاختصاص مستفاد من المادة اللغوية للعبادة وليس من التقديم فقد جاء الاختصاص في ﴿إِيَّاكَ تَبَدُّوْا وَإِيَّاكَ تَسْتَعِيْبُ﴾ للعلم بأنه لا يعبد غير الله ولا يستعان بغيره، لأن بقية الآيات لم يطردها ذلك فإن قوله سبحانه ﴿أَفَعَبِّرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُوتُ﴾^(٤٨) لو جعل غير دين الله ييغون في معنى ما ييغون إلّا غير دين الله، وهمزة الإنكار داخله عليه لزم أن يكون المنكر المحصر لا مجرد بغيرهم غير دين الله، ولا شك أن مجرد بغيرهم غير ﴿قُلْ أَفَعَبِّرْ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(٤٩) فقد وقع الإنكار فيه على عبادة غير

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢١٧)

الله من غير حصر، وأن أبغي ربا غيره منكر من غير حصر، ولكن الخصوص هو غير الله هو المنكر وحده ومع غيره وكذلك ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِعِبَادِهِ ﴾^(٥٠) وعبادتهم إياهم منكرة من غير حصر، وكذلك قوله ﴿ أَهْتَوَلَاءَ إِنَّا نُنَادِيكَمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾^(٥١) المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر فمن هذا يعلم أن الحصر في ﴿ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ من خصوص المادة لا من موضوع اللفظ^(٥٢).

ويرد عليه أن التقديم في الإثبات لا يفيد القصر دائما، وعدم دلالة على القصر في بعض الأمثلة لا يعني نفي القصر عنه أبدا ((لأن المقام هو الذي يستدعي ورود المادة بالقصر أحيانا وورودها هي بعينها على غير القصر أحيانا أخرى، وليس ذلك خاصا بالعبادة وحدها))^(٥٣)

وذكر العلوي (ت٧٤٩هـ) أن التقديم في هذه الآية فيه مذهبان، أحدهما أن تقديم المفعول إنما كان من أجل الاختصاص، وقال إن هذا فيه نظر لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾^(٥٤) ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٥٥) ﴿ وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٥٦) ولو كان التقديم من أجل الاختصاص لوجب تقديمه في هذه الآيات كلها، فلما ورد مؤخرا عن الفعل والمعنى واحد بطل ما قاله.

والمذهب الآخر: أنه إنما قدم من أجل المشاكلة لرؤوس الآي، ومراعاة حسن الانتظام، واتفاق إعجاز الكلم السجعية، لأن قبله (مالك يوم الدين) فلو قال: نعبدك، ونستعينك، لذهبت تلك الطلاوة، ولزالت تلك العذوبة، وهذا شيء يحكى عن بعض علماء البيان واختاره ابن الأثير، والمختار عند العلوي أنه لا منافاة بين الأمرين فيجوز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص، والتشاكل، فيكون في التقديم مراعاة لجانب اللفظ والمعنى جميعا، فالاختصاص أمر معنوي والتشاكل أمر لفظي^(٥٧).

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن ((التقديم في مثل الآيات القرآنية... لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي إذن أشبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص))^(٥٨). وإلى مثل هذا ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي بقوله: ((وإني لأرى أن التقديم قد حقق أيضا غرضا أسلوبيا وهو الحفاظ على النظم الذي يوفره ورود الآي على الميم والنون في أواخر الفواصل))^(٥٩). وقال أيضا: ((والتقديم يوفر نظام الفواصل الذي انعقدت عليه السورة، وليس كما ذهب غير واحد من أن التقديم لغرض الحصر، وهذا يعني أن العناية بالشكل في نظام الفواصل هذا هي وحدها استدعت هذا التقديم، وليس من أجل غرض آخر)^(٦٠). ونخلص مما تقدم إلى أن التناسب الصوتي في الفاصلة في هذا المثال لم يتقدم على العلة المعنوية، بل كلاهما مطلوب بالدرجة نفسها، إذ لولا هذا التقديم والتأخير لفات المعنى والجمال شيء كثير. وبناء على هذا تكون الصياغة قد أوجدت من عوامل الترابط النصي ما يحيل في الذهن أواخر الآيات بعضها على بعض، مع إفادتها المعاني الدقيقة التي اختصت بها بعض أشكال التعبير المنسجمة مع المقام.

أ. ما تناسب فيه الوظيفة الجمالية مع المعنى السياقي.

لم تكن صلة التقديم والتأخير في جملة الفاصلة القرآنية بالمعنى على نمط واحد في كل الموارد، فصلة بعضها بالمعنى صلة جمالية أكثر منها دلالية على نحو المناسبة بين شكل التركيب النهائي والمعنى السياقي، من هذا الباب تقديم ما هو متأخر في الزمان ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(٦١) إذ خالفت في ذلك ما جاء في سورة القصص من تقديم الأولى على الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٦٢)، فإذا قلنا إن تقديم الآخرة هنا للاهتمام بالمتقدم، لأن السياق سياق تعظيم

للآخرة، خلاف السياق في سورة القصص الذي ارتبط بالحياة الدنيا، فراعى القرآن الكريم التسلسل، لأن الحمد يكون في الدنيا، وهو يبدأ من الأولى ثم ينتهي إلى الآخرة، وليس من الآخرة ومن ثم الأولى لمراعاة تقدمها الزمني، فهذا يعني أن البنية السطحية توافقت مع المدلول العام للسياق ولم يزد أسلوب التقديم والتأخير معنى جديداً.

تقول الدكتورة بنت الشاطيء: ((والملاحظ البياني في الآية هو العدول مما هو مألوف من تقديم الأولى على الآخرة، وليس التعليق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى، وإنما اقتضاه المعنى، في سياق البشرى والندير، إذ الآخرة خير وأبقى، وعذابها أكبر وأشد وأخزى وأبقى وان الآخرة هي دار القرار))^(٦٣) ومع هذا فإن التعليل واضح فيه أن التقديم والتأخير يناسب السياق الذي رود فيه، ولم يأت هو بالمعنى المشار إليه. والمعيار الذي يمكن أن يعتمد في الفصل بين التقديم والتأخير الذي يأتي لإفادة المعنى بنفسه وليس في خارجه، والتقديم والتأخير الذي لا يفيد معنى جديداً على السياق بل يعزز معنى مذكوراً في السياق، هو أن نعكس الترتيب فإذا فقد من المعنى شيء، فهو من النوع الأول وإذا لم يفقد سوى تناسب اللفظ مع المعنى فهو من النوع الثاني.

ومن أجل بيان ذلك نذكر مزيداً من الأمثلة التي يصدق عليها هذا المعيار ومنها قوله تعالى ﴿ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بآيَاتِنَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَصَّىٰ ﴾^(٦٤) فقد تقدم ذكر موسى على إبراهيم عليهما السلام. وكان في مورد آخر قد تقدم ذكر إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾^(٦٥)، وقد ذكر الزركشي لذلك سببين في قوله: ((إنما قدم ذكر موسى لوجهين؛ أحدهما أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشاراً من

صحف إبراهيم. وثانيهما: مراعاة رؤوس الآي))^(٦٦) فتقديم إبراهيم عليه السلام أو تأخيره في كلا الموضوعين تنحصر فائدته المعنوية في مراعاة سياق الاحتجاج وليس في ذلك معنى جديد، ذلك بأن انتشار صحف موسى وصحف إبراهيم لا يستفاد من أسلوب التقديم والتأخير من الآية بل جاء هذا المعنى من قرينة خارجية. لذا لا نجد تعليلاً يذكر لبعض حالات التقديم والتأخير غير التناسب الصوتي ومن ذلك ما ذكر من تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ. وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(٦٧)، على وجه إعراب (منشورا) صفة لـ(كتابا)، وقد جاءت كل فواصل آيات سورة الإسراء منونة تنوين فتح، لذا كانت هذه الآية بما تأخر الوصف فيها متوافقة مع الفواصل السابقة عليها، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^(٦٨). لذا قال أبو حيان: ((والظاهر عطف (وأجل مسمى) على (كلمة) وأخر المعطوف عن المعطوف عليه وفصل بينهما بجواب (لولا) لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي))^(٦٩) ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّكَّ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(٧٠)، فقد قيل: إن ((الأخرى نعت لـ(العزى) تقديره، أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، لأنها ثالثة الصنمين في الذكر، وإنما آخر الأخرى رعاية للفواصل كما قال: ﴿وَلِي فِيهَا مَنَازِبٌ أُخْرَىٰ﴾^(٧١) ولم يقل: (أخر) رعاية للفواصل))^(٧٢) ويقول القرطبي (ت ٦٧١هـ): ((العرب لا تقول للثالثة: أخرى، وإنما الأخرى نعت للثانية، واختلفوا في وجهها فقال الخليل، إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي كقوله (مآرب أخرى) ولم يقل آخر، وقال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير مجازها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة))^(٧٣).

ويلاحظ - هنا - أن معاملة النص القرآني على وفق نظرية الأصل تعني فيما تعنيه أن كلام البشر أصل يقاس عليه كلام الله جلّ وعلا، ونحن نعلم أن

الكلام بوصفه عملاً انجازياً للغة لا يمكن أن تكون فيه فكرة الأصل حاکمة على الدوام، لأن الأصل أمر نسبيّ إذا ما قيس بتطور اللغات وتوافرها على إمكانيات جديدة كلما تقدّمت في التطور، لهذا واجه مصطلح المجاز مشكلة كبيرة في أن ما يمكن أن يسمّى في وقت معيّن مجازاً بالقياس إلى أصل معروف يصبح مع الزمن أصلاً فيفقد من قيمته الإيحائية التي حققها بخروجه عن الأصل ما يجعله بمقام الأصل نفسه^(٧٤).

لقد مر الكلام العربي بمراحل كانت فيه مستويات المجاز على نحو معيّن حتى إذا كثر استعمال المجاز وتردد كثيراً فقد سمته الفنية وصار حقيقة. وحاول الزمخشري في (أساس البلاغة) أن يبيّن هذه الفكرة عندما أرجع بعض الاستعمالات إلى المجاز وبعضها إلى الحقيقة في عمل معجمي تفرد به كشف فيه الأصل المجازي لكثير من الكلمات التي تجري مجرى الحقيقة وقد خفيت أصولها على مستعمليها، فيقال في باب المجاز: إن إسناد الفعل لغير فاعله من المجاز العقلي كما في المثال: بنى الملك المدينة، لأنه لا بينها بيده، بل بينها العاملون من ذوي المهنة، ومن المؤكد أن توظيف هذا المجاز في الكلام جاء لغاية جمالية معينة ولكن كثرة الاستعمال أحالت هذا التعبير في الاستعمال الاعتيادي إلى ما يشبه الحقيقة فقد يخاطب الرجل أحد السلاطين طالباً منه توسيع المدينة أو تنظيفها وهو لا يقصد بكلامه المعنى الجمالي، بل يتكلم على وجه الحقيقة؛ لأن هذا التعبير صار متداولاً بكثرة.

إن فكرة القياس إلى الأصل تعدّ أداة علمية جيدة في الكشف عن سمات البنية السطحية للكلام، ولكن لا يتحقق نفعها باطراد حينها يمكن دراسة سمات البنية السطحية بما هي عليه من دون افتراض أصل من خارج حدود النصّ، أي الاقتصار على دراسة اختلاف الترتيب في المواطن المتشابهة من النصّ نفسه وقياس الفرق بين الحالين مع مراعاة توظيف كلّ من الاستعماليين في سياقه، فيمكن أن يقال: إن ذكر هارون وموسى -عليهما السلام- في قوله

تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾^(٧٥) فيه تقديم وتأخير، لا بالقياس إلى قواعد مستوحاة من غير النصّ القرآني، إذ ليس هناك رتبة محفوظة في العطف بين الاسمين، والمعنى لا يقتضي تقديم أحدهما لزوما، بل من سياقات آخر في القرآن الكريم ورد فيها ذكرهما على غير هذا الترتيب. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾^(٧٦) وعندئذ يدرس الفرق بينهما بقريئة السياق، فإذا كشف السياق عن خصيصة فنية في الاستعمال فهذا جيد، وإن لم يكن ذلك فيكتفي البحث بالقول بمراعاة الفاصلة من دون أن يزاحم هذا التعليل أي تعليل آخر.

وليس في هذا مجافاة للحقيقة ولا تمحل في النتائج ولا إخضاع النصّ إلى نظرية معينة قبل النظر في النصّ نفسه، لأنّ الاهتمام بالناحية التطبيقية والابتعاد عن التعميمات المطلقة مطلب علمي لرصد سياقات معينة للخروج منها بالتنويعات التي تمثل ناحية فردية بقدر ما تمثل ظواهر أسلوبية ترتبط بمجال تعبيرى محدد. ولا بد - هنا - من ملاحظة أنّ التقديم والتأخير يقع في الكلام من المتكلم البليغ وغيره، ويقع في الكلام الجميل والكلام الاعتيادي، ولكنّ فرقا كبيرا بين أن يقصد إلى التقديم والتأخير من أجل دلالة وبين أن يأتي عرضا في الكلام، ذلك بأنّ المتكلم قد يتبغى الدلالة الدقيقة الناتجة عن التقديم والتأخير فينظم الكلام من أجلها، أو قد لا يتبغى لأنّه طلبه من أجل أمر آخر في الكلام مثل رعاية السجع في النثر والقافية في الشعر بصرف النظر عن الفرق الدلالي بين حال التقديم وعدمه، وربما اتفق له ما ابتغاه مع حسن الدلالة، ولكنّ في كلتا الحالتين، من ابتغاء الدلالة أو عدمها، يكون للغة في نظامها ما يشبه القانون في أنّ هذا الاستعمال يحمل دلالة، بصرف النظر عن ما إذا أراد ذلك من يتكلم به أو لا، أي إنّ التقديم والتأخير دلالة يقتضيها وجود اللفظ على حاله النهائية فإذا عرفنا أنّ المتكلم حكيم بليغ جاز لنا أن نقول (بقريئة

خارجية) إنه ذهب إلى دلالة عن قصد. وإذا كنا نشك في ذلك أو نجعله فلنا منه أن نحتمل القصد أو لا نحتمله، وعلى هذا كان لا بد لنا من أن نعرف أن التقديم والتأخير في القرآن الكريم قصدت فيه دلالة كما قصدت فيه آثار الترتيب الصوتية، لأن الله أحكم الحاكمين جل جلاله.

وعلى هذا تكون علة التقديم والتأخير مرتبطة بالمتكلم من حيث القصد وليس المتلقي للكلام، أما الدلالة فلا ترتبط بالقصد لأنها نتيجة لا شأن للقصد بها فتقع الإفادة بالتقديم والتأخير في الكلام ممن قصده وممن لم يقصده ومثله في ذلك كمثل إناء الزجاج الذي يسقط من يد من يعتمد اسقاطه فينكسر، فيكون حاله - من حيث الكسر - سواء فيما إذا كان سقوطه عن سهو أم كان من غير قصد؛ لأن النتيجة واحدة هي الكسر. وبهذا المفهوم نقرأ نص عبد القاهر الجرجاني الذي يقول فيه: ((واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض. وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعته. ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى. فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال. ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال. فأمّا أن يجعله بين بين فيزعم أنه للفائدة في بعضها وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض فمما ينبغي أن يرغب عن القول به))^(٧٧) ويجب الفصل هنا بين العلة في التقديم والتأخير وهي من أغراض المنشئ وقصده، ودلالة التقديم والتأخير بوصفها بنية وجودية دالة بذاتها بصرف النظر عن قصد منشئها. ومن هنا لم يكن للتقديم عند الجرجاني غرض إلا المعنى الأخير في كل مستويات الكلام،

لذا أنكر على الذين جعلوا العناية بالمقدم أصلا من دون أن يبينوا وجه العناية، وهو أن تذكر فائدة التقديم يقول: ((وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم))^(٧٨)، على أننا الآن يجب أن نذكر الاختلاف بشأن التقديم والتأخير من حيث غرضه ومن حيث دلالاته، وقد وجدنا خلطا كبيرا بين هذين المفهومين في دراسات القدماء والمحدثين، فقد جعل الجرجاني العناية بالمقدم عنوانا تنضوي تحته الفائدة من التقديم والتأخير، لأنه يطلب لكل تقديم وجهها معنويا للعناية التي تقدم من أجلها، وهو بذلك لا يميز بين مستويات التقديم والتأخير من حيث الأهمية والدلالة المتوخاة منه. وفرق الزمخشري بين مستويين من التقديم والتأخير عندما تتبع آيات كثيرة وفسر تقديم بعضها بالاختصاص وبعضها الآخر بالاهتمام والعناية. وذكر الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) صاحب الحاشية أن للاهتمام معنيين ((أحدهما كون المقدم مما يعتنى بشأنه لشرف وغزارة وركنية مثلا فيقتضي ذلك تخصيصه بالتقديم، وهذا المعنى هو المناسب بحسب الظاهر لأن يقال لأنهم يقدمون الذي شأنه أهم، وهم بيانه أعنى، ونفس الاهتمام هذا هو الموجب للتقديم، ولا يدل تقديمه إلى على أن المتكلم له به الاعتناء المطلق))^(٧٩). وهنا نشير إلى المعيار الذي اتبعه البحث في دراسة التقديم والتأخير، وهو النظر في المعنى المتحصل منه، فإذا كان سببه هو هذا من التقديم والتأخير المعنوي، وإذا كان المعنى المتحصل ليس سببه التقديم والتأخير فهو من باب المناسبة بين أسلوب التقديم والتأخير والمعنى العام.

أما المعنى الآخر للتقديم الذي تحدث عنه الدسوقي فهو ((كون المقدم في تقديمه معنى لا يحصل عند التأخير، فإن المفعول مثلا إذا تعلق الغرض بتقديمه لإفادة الاختصاص فلم يتعلق الاهتمام بذاته، إنما تعلق بتقديمه للغرض المفاد، وليست الأهمية هنا هي الموجبة للتقديم، بل الحاجة إلى التقديم هي

الموجبة للاهتمام بذلك التقديم، فالأهمية هنا معللة موجبة... والعلّة هي الحاجة، والأهمية والتقديم يتلازمان بعلّة الحاجة، لأنّ الحاجة هي التقديم، واهتم به لكونه محتاجا إليه، وهذا المعنى يعم كل ما يجب فيه التقديم))^(٨٠)

ولو طبّقنا هذا على قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجُودًا قَالُوا أَمْ نَآرِبُ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾^(٨١) وجدناه أقرب إلى الصّنف الأول؛ لأنّ تقديم (موسى) على (هارون) لا يفقد الكلام معنى كان له بالتأخير، ورعاية الفاصلة داخلة في الصّنف الأوّل بوصفها بيانا لجهة الاهتمام التي تتحقق بتوافق الفواصل. وهنا نجد من يتلمس العلة لذلك فيقول: ((إنهم قدموا ذكر هارون على موسى لأنّ فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى بناء على أنّه رباه في قوله ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾^(٨٢) فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعا لهذا الخيال))^(٨٣). وهذا التعليل جميل ولكنه متحقق حتى مع التقديم فيما لو قالوا: (أمنا برب موسى وهارون)، لأنّ فرعون ربي موسى ولم يرب هارون فيكون العطف صارفا للدلالة عن المعنى المتوهم. وقيل: قدم هارون لكبر سنه^(٨٤)، وهذا التعليل لا زيادة فيه على المعنى الأصلي بل هو تقديم من حيث العمر ولو تأخر لما فات المعنى شيء.

ولو قلنا إنّ هارون قدّم لأنّه كان المكلف بالنطق بالتبليغ بقريته قوله تعالى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾^(٨٥) فهارون كان المخاطب وموسى عليه السلام هو النبي الذي أعطاه هذه الصّفة، فإنّ هذا المعنى لم يأت به التقديم وإنّما جاءت به آية سابقة.

ولهذا نجد كثيرا من الآراء ركزت على العلة الصوتية في هذه الآية إذ قال بعض المفسرين إنّ العلة هي مراعاة الفواصل يقول أبو حيان: ((وقدم موسى في الأعراف وآخر هارون لأجل الفواصل ولكون موسى هو المنسوب إليه

العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الإعجاز، وأخر موسى لأجل الفواصل أيضاً كقوله { لكان لزاماً وأجل مسمى } ... ولا فرق بين قام زيد وعمرو وقام عمرو وزيد إذ الواو لا تقتضي ترتيباً على أنه يحتمل أن يكون القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم رب موسى وهارون، وطائفة بقولهم: رب هارون وموسى ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين إلى الجميع))^(٨٦). وإلى مثل هذا ذهب أبو السعود بقوله: ((تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضاً هكذا، أما لكبر سن هارون عليه الصلاة والسلام وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه، حيث كان فرعون ربي موسى عليه الصلاة والسلام في صغره فلو قدموا موسى عليه الصلاة والسلام لربما توهم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون))^(٨٧)، وقال الألويسي: ((تأخير موسى عليه السلام عند حكاية كلامهم المذكورة في سورة الأعراف المقدم فيه موسى عليه السلام لأنه أشرف من هارون والدعوة و الرسالة إنما هي له أولاً وبالذات وظهور المعجزة على يده عليه السلام لرعاية الفواصل))^(٨٨).

وقال الزركشي في ذلك إنه ((لتناسب رؤوس الآي))^(٨٩) والسبب الاحتراز من ((أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة))^(٩٠). وإلى مثل هذا ذهب ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) بقوله: ((إن كل واحدة من الآيتين جرت على وفق فواصل تلك السورة ورؤوس آياتها فالعكس لا يناسبه بوجه، فوجب اختصاص كل سورة بما ورد فيها))^(٩١). ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن القرآن الكريم ((لم يختم آية الشعراء بكلمة (هارون) وآية طه بكلمة (موسى) مراعاة للانسجام الموسيقي وحده، بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو قد راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه الكلام))^(٩٢). ذلك بأن القصة في سورة (طه) مبنية على الثنية بين ذكر موسى وهارون عليهما السلام وفي سورة (الشعراء) مبنية على

الإفراد^(٩٣)، غير أن هذا التعليل لا يمكن أن يعدّ من العلل التي أفادت شيئاً جديداً في المعنى وإنما هي أقرب إلى مراعاة مقتضى الحال والبحث في تناسب أجزاء السور. وليس كل ما كان على هذه الشاكلة لزم أن يأتي بمعنى دقيق لم تأت به الصياغة من غير تقديم.

والملاحظ أن الجرجاني لم يورد في أمثله للتقديم والتأخير هذه الآية ولا أي مثال آخر ينطبق عليه الصنف الأول من تقسيم الدسوقي، ربما لأنه لا يعدّ مثل هذا من باب التقديم؛ لغياب المعيار الذي اعتمده في قياس التقديم والتأخير وهو العودة إلى الأصل النحوي المفترض، لذا يمكن ان نرجع سبب تعصب بعض العلماء في إنكار مراعاة الفواصل إلى ما صرحوا به من الاحتراز من شبهة السجع، وإلى سيطرة فكرة الأصل التي جعلوها معياراً للتقديم والتأخير حتى إذا خفي هذا المعيار في بعض الأمثلة لم يذكروا أنه من التقديم والتأخير أصلاً لأنهم لا ينكرون باب التقديم والتأخير وإنما ينكرون علة رعاية الفاصلة.

في حين يمكن أن يكون التأخير للاهتمام وليس التقديم ومن ذلك تأخير موسى في الآية السابقة، ذلك بأن التأخير هنا قد انضم إليه عامل آخر جعل من الكلمة المتأخرة أكثر خصوصية في الكلام، وهي أنها رأس آية متناسبة صوتياً مع الآيات السابقة واللاحقة، وليس هذا بغريب فقد عرفنا أن العرب تسمي القصيدة باسم جزء منها وهو القافية؛ لما تقيمه لها من الشأن الكبير حتى أن نظم الشعر استقام على دعامين هما الوزن والقافية، فإذا أخرجت الكلمة لتكون قافية أضيف إليها من الأهمية ما يمنحها التمييز في أنها كانت قسيماً للوزن من حيث الأهمية في استقامة الكلام المنظوم، فضلاً عن أنها أعلق في الذهن من غيرها لدلالة النسق الصوتي في نهاية كل بيت ولأنها آخر ما تسمعه الأذن من كلمات البيت؛ فقد تأخر النداء مع أن الاهتمام بالمنادى واضح إذ بالإمكان حذف المنادى لدلالة السياق عليه ولكن المقام يقتضي الإشارة إلى أن

سؤال الباري عز وجل إنما كان من دون واسطة، لذا قيل في تفسير تأخير المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴾^(٩٤) إن العلة كانت للتشويق الذي يذهب بالسامع عندما يسمع أو جس ثم لا يتبع هذا الفعل فاعل ظاهر، ومن ثم يؤكد المعنى بأن ذلك كائن في النفس ثم أن المفعول للفعل هي الخيفة، فمن الذي خاف؟ إنه (موسى) وهو ما يدهش السامع، ولكن الاهتمام بالخبر جعل فاعل الفعل مؤخرًا، وهذا يعني أن الاهتمام لا ينحصر في التقديم وإنما قد يكون في التأخير في مثل هذه الحال وغيرها، قال الزركشي: ((وتقدير الكلام: فأوجس موسى في نفسه خيفة، وإنما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول بحرف الجر قصدًا لتحسين الكلام))^(٩٥) ((لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول، لكن آخر الفاعل وهو (موسى) لأجل رعاية الفاصلة))^(٩٦) ووافقه على ذلك بعض بعض الباحثين، إذ رأوا أن ((مراعاة التناسب في الأصوات والأوزان متطلبة في أي القرآن))^(٩٧). وأن التأخير جاء في هذا الموضع ((للحفاظ على النسق الصوتي عن طريق إقامة التوازن بين مفردة (موسى) وفواصل السورة الأخرى))^(٩٨) فضلًا عن قصد الإيضاح بعد الإبهام^(٩٩).

وإذا كان الزركشي ومن وافقه في هذا الرأي يعني بتحسين الكلام التوافق الصوتي فقط فكلامه فيه نظر، وأما إذا كان يعني به التحسين على مستوى توافق اللفظ والمعنى فهذا كلام مقبول، وبهذا نتفق مع من يرصد التوافق الصوتي من غير أن يجعله علة تامة للتقديم والتأخير في البينة السطحية. ذلك بأن تأخير الفاعل في الآية السابقة ربما كان مقصودًا به الإيضاح بعد الإبهام^(١٠٠) تشويقًا للنفس.

الخاتمة

إن وظيفة التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية كانت دلالية جمالية في بعض الأمثلة، وكانت جمالية متناسبة مع المعنى تسير معه في خط متوازٍ،

فهي أدخَلُ في باب المناسبة منها في باب التعليل المعنوي؛ ذلك بأن بعض المعاني التي اشير إليها لم يأت بها التقديم والتأخير نفسه، بل وافق معنى المذكور سابقاً أو لاحقاً، في حين كانت رعاية الفاصلة المتمثلة بالمناسبة الصوتية بين مفردات الفواصل المسجوعة علة ظاهرة بعثت في النص حساً جمالياً، وفي الوقت نفسه لم تتعارض مع ما قيل من العلل المعنوية، وإنما تضافرت كل هذه المستويات في الفاصلة القرآنية، وهذا يكشف عن مزية القرآن الكريم في الإعجاز. ولعل الموازنة بين الأصل المفترض وبنية التقديم والتأخير يصلح أن يكون معياراً للكشف عن العلة المعنوية في التقديم والتأخير في الفواصل فينتج عن هذا الإجراء التفريق بين مستويين الأول هو ما كان التقديم والتأخير مقصوداً فيه المعنى لذاته، مع ما يؤدي من توازن صوتي. والثاني يقصد فيه التوازن الصوتي من جهة مناسبته معنى السياق الذي ورد فيه، وكلاهما له صلة وثيقة بالمعنى، وكلاهما يلتقي في النهاية عند قمة التآزر بين اللفظ والمعنى.

الملخص

اسلوب (التقديم والتأخير) أسهم في رعاية الفاصلة القرآنية، لذا كان سبباً من أسباب التناسب الصوتي في الفواصل. واختلف الدارسون في مشروعية رعاية الفاصلة القرآنية بين الرفض والقبول؛ لأنها ترتبط بتحديد الغاية التي جاء من أجلها التقديم والتأخير. هل هي غاية معنوية خالصة؟ هل هي غاية جمالية إيقاعية؟ أو كلاهما صحيح؟ لذا وضع هذا البحث هدفاً له يتمثل بدراسة صلة (رعاية الفاصلة) بالمعنى، ومستويات العلاقة بينهما بما يعزز مشروعية المصطلح أو يرفضه.

Abstract

(Submission and delays) contributed in care of Quranic interval, so it was a cause of proportionality reasons in voice in intervals . The scholars differed as to the legality of care of

Quranic interval between rejection and acceptance; as it pertains of purpose from which they (Submission and delays) came for it. Is it pure semantic? Is it rhythmic aesthetic? Or both are true? So put this search his goal is to study the relationship of (interval care) and sense, and study the relationship between these two levels as to enhance legitimacy of the term or reject

هوامش البحث

- (١) البيان في روائع القرآن: ٢١٥/١.
- (٢) ظ: ظاهرة التخفيف في النحو العربي د. أحمد عفيفي: ١٣٩.
- (٣) ظ: البيان في روائع القرآن: ٢١٦/١.
- (٤) الترخص مصطلح يشير إلى ظاهرة لغوية في النصوص المتميزة بإزاء دقتها في تقديم المعنى، ويدور في إهدار قرينة أو قرينتين من القرائن اللغوية نتيجة توفّر قرائن آخر تسد مسدها. ظ: مقالات في اللغة والادب: د. تمام حسان: ٢١٨/٢.
- (٥) البيان في روائع القرآن: ٢١٥/١.
- (٦) هو محمد بن عبد الله المعافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي كان أبوه من فقهاء إشبيلية، قاض، من حفاظ الحديث، برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، له ((أحكام القرآن))، و((عارضنة الأحوذى في شرح الترمذي))، و ((قانون التأويل))، و((الناسخ والمنسوخ)). ظ: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي: ٢٣٠/٦.
- (٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣٦/١. و ظ: الإتقان، السيوطي: ٢٨٨/٢.
- (٨) بديع القرآن: ١٤٥.
- (٩) المصدر نفسه: ١٤٩.
- (١٠) ظ: المصدر نفسه: ١٤٩.
- (١١) سورة ق الآيتان: ١، ٢.
- (١٢) سورة القلم، الآيات: ١-٣.
- (١٣) مسند أحمد: ٢٣٦/١، و ظ: صحيح البخاري: ١١٩/٤.
- (١٤) ظ: بديع القرآن: ١٥٠.
- (١٥) ظ: أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، محمد عامر محمد (اطروحة دكتوراه): ٢٨-٢٩.

- (١٦) التبيان في البيان، الإمام الطيبي، تحقيق ودراسة: عبد الستار مبروك زموط: ٢٠٢.
- (١٧) ظ: المصدر نفسه: ٢٠٠-٢٠٢.
- (١٨) التبيان في البيان: ٢٠٢.
- (١٩) المصدر نفسه: ٢٠٠.
- (٢٠) سورة المائدة، الآية: ١١٨.
- (٢١) التبيان في البيان: ٢٠٢.
- (٢٢) نظم الدرر: ١/٥-٦.
- (٢٣) المصدر نفسه: ٥٧/٩.
- (٢٤) ظ: المصدر نفسه: ٥٧/٩.
- (٢٥) المصدر نفسه: ١٧١/٢٢-١٧٣.
- (٢٦) سورة طه، الآية: ٧٠.
- (٢٧) نظم الدرر: ٣١٠/١٢ والحديث في صحيح مسلم: ١١٠/٥ بلفظ (إنما هذا من إخوان الكهان من اجل سجعه الذي سجع)، ومسند أحمد: ٥٣٥/٢.
- (٢٨) ظ: أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني: ٣٣-٣٩.
- (٢٩) النكت في إعجاز القرآن: ٩٧.
- (٣٠) إعجاز القرآن: ٢٧٠.
- (٣١) البرهان: ١/٥٣. و ظ: الإبتقان : ٢/٢٦٠. القرينة : مصطلح وضعت له عدة تعريفات استعملها القلقشندي مينا سبب تسميتها كذلك لمقارنتها أختها وتجمع قرائن، وهي التي تناظر شطر البيت الشعري وتمثل وحدة الإيقاع الأساسية في النثر. صبح الأعشى في صناعة الانشا، القلقشندي ، تحقيق عبد القادر زكار: ٣٠٢/٢ ، أو هي القطعة من الكلام المزوجة للأخرى، وهي في النثر بمنزلة البيت من الشعر لغة القرآن الكريم في جزء عم: ٣٦٢. أو هي تدفق عدد من الكلمات تقطع بكلمة الفاصلة التي تشبه القافية من ناحية وظيفية تقطع الكلام لضبط إيقاعه، وتسبغ عليه جمالا وجناسا. وتذكر المتلقي بالقرينة السابقة، وتشير إلى تمام معنى الكلام وتمايم بيانه. ظ: سيمياء الإيقاع والفاصلة في القرآن الكريم رسالة في إعجاز المستوى الصوتي، د. توماس غازي: ٤١.
- (٣٢) شرح المفصل: ٧٨/٩.
- (٣٣) معجم العين: ١/٢٤٤.
- (٣٤) الفاصلة في القرآن الكريم، د. محمد الحسناوي: ٢٩.

(٣٥) البرهان: ٦٠ / ١. سبق الزركشي كثير من العلماء الذين قالوا برعاية الفاصلة في بعض المواطن ولكنه أول من أفرد له مبحثاً خاصاً تحت هذا العنوان بعد كتاب ابن الصائغ المفقود.

(٣٦) الإتيان: ٢٥١/٣.

(٣٧) ظ: البرهان: ٦٠/١.

(٣٨) الإتيان: ٢٥٦/٣.

(٣٩) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، د. كاصد ياسر حسين (بحث): ٣٦١ (الهامش).

(٤٠) ظ: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٣٢٩.

(٤١) ظ: البناء اللغوي في الفواصل القرآنية، د. علي عبد الله حسين العنبيكي.

(٤٢) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(٤٣) سورة البقرة من الآية: ١٥٣.

(٤٤) سورة الأعراف من الآية: ١٢٨.

(٤٥) الكشف: ٥٦/١ ، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، شرح وتعليق وتنقيح د.

محمد عبد المنعم الحفاجي: ١١١/١ ومعاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: ٥٠٩/٢.

(٤٦) ظ: البحر المحيط ١٤١/١، والتقديم والتأخير في القرآن: ٤٧، ٤٨، ١٢١.

(٤٧) ظ: المثل السائر ٣٦/٢ ، والبرهان: ٦٣/١، والإتيان: ٢٩٦/٣.

(٤٨) سورة آل عمران، من الآية: ٨٣.

(٤٩) سورة الزمر، من الآية: ٦٤.

(٥٠) سورة سبأ من الآية: ٤٠.

(٥١) سورة الصافات الآية: ٨٦.

(٥٢) ظ: عروس الأفراح - الشروح: ١٥٧/٢.

(٥٣) دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، د. عبد الجواد محمد طبق: ١٢٧.

(٥٤) سورة قريش الآية: ٣.

(٥٥) سورة النساء من الآية: ٣٦.

(٥٦) سورة الحج من الآية: ٧٧.

(٥٧) ظ: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي ،

تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي: ٦٧-٦٦/٢.

(٥٨) من أسرار اللغة: ٣٣٣.

- (٥٩) من بديع لغة التنزيل: ٩.
- (٦٠) من وحي القرآن: ١٣١.
- (٦١) سورة النجم، الآية: ٢٥.
- (٦٢) سورة القصص، الآية: ٧٠.
- (٦٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن: ١١٢/٢. ظ: الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: ٣٦٣.
- (٦٤) سورة النجم، الآية: ٣٦-٣٧.
- (٦٥) سورة الأعلى، الآية: ١٩.
- (٦٦) البرهان: ٢٣٩/٣.
- (٦٧) سورة الإسراء، الآية: ١٣.
- (٦٨) سورة طه، الآية: ١٢٩.
- (٦٩) البحر المحيط: ٢٦٨/٦.
- (٧٠) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.
- (٧١) سورة طه، الآية: ١٨.
- (٧٢) مسائل الرأزي وأجوبتها من غريب آي التنزيل، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرأزي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض: ١١٨/٢.
- (٧٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٠٢/١٧، و ظ: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٧٢/٨ و الكشف والبيان: ١٤٦/٩.
- (٧٤) ظ: معايير تحليل الاسلوب: ٧.
- (٧٥) سورة طه، من الآية: ٧٠.
- (٧٦) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢١ - ١٢٢.
- (٧٧) دلائل الإعجاز: ١١٠-١١١.
- (٧٨) المصدر نفسه: ١٠٨.
- (٧٩) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ١٥٤/٢.
- (٨٠) المصدر نفسه: ١٥٤/٢.
- (٨١) سورة طه، من الآية: ٧٠.
- (٨٢) سورة الشعراء، من الآية: ١٨.

- (٨٣) التفسير الكبير: ٧٥/٢٢، و ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٦١/٤، والبحر المحيط: ٢٤٢/٦، إرشاد العقل السليم: ٢٨/٦، وروح المعاني: ٢٣٠/١٦.
- (٨٤) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٦١/٤.
- (٨٥) سورة القصص، الآية: ٣٤.
- (٨٦) البحر المحيط: ٢٤٢/٦.
- (٨٧) إرشاد العقل السليم: ٢٨/٦.
- (٨٨) روح المعاني: ٢٣٠/١٦.
- (٨٩) البرهان، الزركشي: ٢٥٥/٣.
- (٩٠) المصدر نفسه: ٢٣٤/٣ و ظ: الصوت اللغوي، الدكتور محمد حسين الصغير: ١٥٤.
- (٩١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي: ٥٦٩/١، ودرة التنزيل وغرة التأويل، الاسكافي: ١٧٤-١٧٥.
- (٩٢) التعبير القرآني: ١٩٦.
- (٩٣) ظ: المصدر نفسه: ٢٢٣.
- (٩٤) سورة طه: الآية: ٦٧.
- (٩٥) المثل السائر: ٢١٢ والطراز: ٢٣٥.
- (٩٦) البرهان، الزركشي: ٦٢/١ والصوت اللغوي: ١٥٤.
- (٩٧) من بديع لغة التنزيل: ٢٤٤.
- (٩٨) الصوت اللغوي: ١٥٤.
- (٩٩) ظ: الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي: ٥١.
- (١٠٠) ظ: المصدر نفسه: ٥١.

قائمة المصادر والمراجع

- الإتيقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب دار الفكر - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، محمد عامر محمد (اطروحة دكتوراه) جامعة الكوفة - كلية الآداب ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢٣٥)

- الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (المتوفى : ٤٠٣هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف - مصر الطبعة : الخامسة، 1997 م.
- الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠هـ) دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) تأليف البضاوي ، دار افكر - بيروت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم الحفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- بديع القرآن لابن أبي الإصبع العدواني (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- البرهان في علوم القرآن، تأليف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١م.
- البلاغة والأسلوبية د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م.
- البناء اللغوي في الفواصل القرآنية، الدكتور علي عبد الله حسين العنكي، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ.
- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- التبيان في البيان، الإمام الطيبي، تحقيق ودراسة: عبد الستار مبروك زموط، جامعة القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ١٩٩٠م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- التقديم والتأخير في القرآن، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢٣٦)

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي و الرّماني وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام. دار المعارف، القاهرة.
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت٦٧١هـ)، دار الشعب - القاهرة.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٩٩٨م.
- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، د. عبد الجواد محمد طبع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- درة التنزيل وغرة التأويل، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
- سيمياء الإيقاع والفاصلة في القرآن الكريم رسالة في إعجاز المستوى الصوتي، د. توماس غازي، مطبعة شركة المارد في النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- شرح المفصل، ابن يعيش، يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ) عالم الكتب بيروت، مكتبة المثنى - القاهرة.
- شروح التلخيص وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، وقد وضع بالهامش كتاب الأيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشية الدسوقي على شرح السعد، تصوير دار الكتب العلمية، وتصوير دار الهادي.
- صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٤٠١هـ - ١٩٨١م.

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢٣٧)

- صحيح مسلم. مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ) دار الفكر، بيروت- لبنان.
- الصّوت اللغويّ في القرآن، الدكتور محمّد حسين علي الصّغير، مطبعة دار المؤرخ العربيّ بيروت - لبنان ٢٠٠٠م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا ببيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ظاهرة التّخفيف في النّحو العربيّ، دكتور أحمد عفيفي، الدّار المصرية اللبنانية، الطّبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الفاصلة في القرآن الكريم: د. محمّد الحسناوي، دار عمار، الطّبعة الثّانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- كتاب دلائل الإعجاز، تأليف الشّيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني النّحوي (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه أبو فهر / محمود محمّد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، مطبعة المدني المؤسّسة السّعودية بمصر، الطّبعة الثّالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار النّشر: دار إحياء التّراث العربيّ - بيروت.
- الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير السّاعدي، دار إحياء التّراث العربيّ - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدّين ابن الأثير (ت ٦٢٢هـ)، قدّمه وعلّق عليه دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة.
- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر بيروت، لبنان.

التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير (٢٣٨)

- معاني النحو، تأليف الدكتور فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- معايير تحليل الاسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة، تقديم وتعليقات د. حميد حميدان، منشورات دراسات سيميائية ادبية لسانية (دراسات سال) دار النجاح الجديدة - البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- مقالات في اللغة والأدب، الأستاذ الدكتور تمام حسن، عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، تأليف أبي جعفر أحمد بن ابراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة ١٩٨٥م.
- من بديع لغة التنزيل، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الفرقان - مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.